نتائج التنقيبات الأثرية في بين عنيا شرقي نهر الاردن

تقرير أولي

محمد وهيب

الموقع الجغرافي

استمراراً لأعمال التنقيبات الأثرية في منطقة الجانب الشرقي من نهر الأردن تم التركيز خلال موسم عام ٢٠٠١ – ٢٠٠٢م على الجزء الجنوبي الشرقي من موقع كنيسة يوحنا، والتي تبعد عن نهر الأردن من الجهة الغربية مسافة مئتي متر، وعن الجهة الجنوبية مسافة خمسين متراً، ويحيط بالمنطقة التي تم التنقيب فيها أشجار الطرفا من الجهات كافة، حيث أقيمت الأبنية المكتشفة في منطقة الزور، التي تكونت من الطمي والغرين الذي يجلبه نهر الأردن معه أثناء جريانه ويطرحه على جانبيه أثناء فيضانه كما تمثل هذه المنطقة نقطة الإلتقاء ما بين مياه نبع الخرار المتدفقة من تل مار الياس عبر وادي الخرار مع مياه نهر الأردن، وتصب في نهر الأردن بعد مرورها بجانب الموقع.

واستكمالاً للتنقيبات في المنطقة (D) والمربعات الشبكية التابعة لها وهي A4/ B4/ C4/ D4 بهدف الكشف عن باقي أجزاء الجدارين التابعين للدرج المتصل بالكنيسة التي اصطلح على تسميتها الكنيسة الثالثة نزولاً نحو بقايا مجرى من المرجح أنه مجرى قديم لإلتقاء مياه نبع الخرار مع مياه نهر الأردن.

الأجزاء الشرقية للكنيسة الثالثة

تعتبر الأجزاء المكتشفة مرتبطة بالكنيسة الثالثة من الناحية العمائرية، حيث أظهرت التنقيبات أن ما تم الكشف عنه يمثل النهاية الشرقية للأجزاء العمائرية للكنيسة والتي تتكون في مجملها من الدرج والجدارين المحيطين به من الشمال والجنوب وارتباط الدرج بنهاية الطرف الشرقي من الكنيسة الذي يتكون من بقايا أرضية كانت تمثل غرفة (**الشكل ١**) تقع إلى الشرق من مذبح الكنيسة الثالثة، هذه الغرفة مربعة الشكل تبلغ قياساتها ٦,٨٠م × ٥,٠٠م ويفصلها عن منطقة المذبح جدار يبلغ عرضه متراً واحداً يتكون من حجارة كلسية مشذبة (**الشكل ٢**) ويتضح أنه لم يتبق من جدران الغرفة الكثير بفعل عوامل الدمار التي لحقت بالموقع، والجزء الرئيسي المتبقي هو بقايا المونة التي

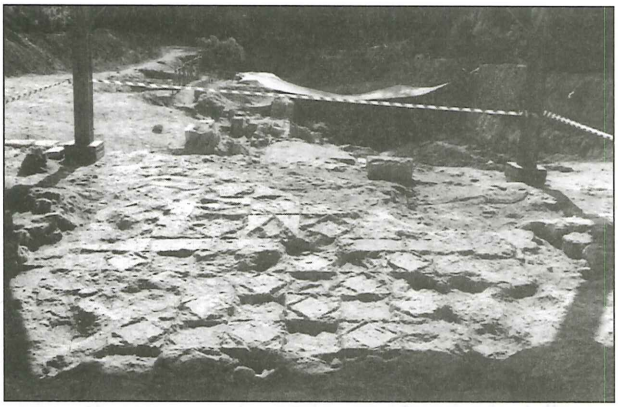

١. بقايا أرضية الغرفة والتي كانت مبلطة بالرخام.

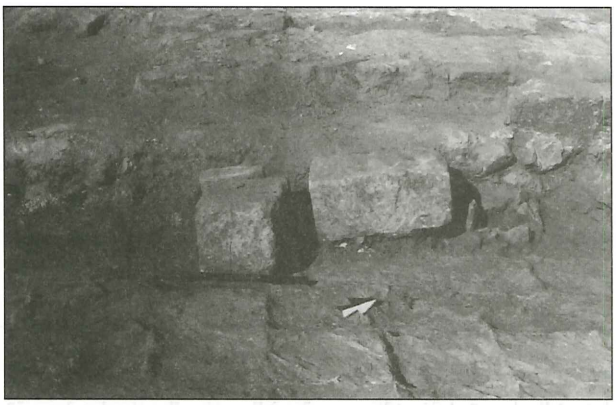

٢. بقايا الجدار الفاصل ما بين أرضية الغرفة ومذبح الكنيسة الثالثة.

كانت تثبت القطع الرخامية التى ولم يتبق منها سوى القليل، وهي ذات اشكال متعددة ومن خلال تفحص بقايا إنطباع القطع الرخامية المفقودة على طبقة المونة يظهر أن القطع الرخامية تتكون من أشكال مربعة ومستطيلة ومثلثة تم بنائها بشكل هندسي منتظم يعكس مدى الدقة والفن الهندسي الرفيع الذي تميز به الحرفيون.

وتعتبر هذه الأرضية التابعة للغرفة بمثابة نهاية الرواق الأوسط باتجاه الشرق، حيث يعتبر هذا الرواق الأفضل من حيث المحافظة على أجزاءه وبقاياه، مقارنة مع الرواق الجنوبي الذي تعرض للإنجراف وزوال أجزاء كثيرة منه

بالرغم من أنه تم بناء ثلاث قواعد (تم الكشف عنها لغاية الآن) لتقوية هذا الرواق ودعم أساساته، حيث أدى جريان المياه بجوار هذا الجزء وبقرب الأرضية الفسيفسائية الى تحطيم أجزاء عديدة منها، وقد أكدت الكسر الفخارية التي كشف عنها في هذا الجزء أن هذا الدمار يرجع إلى أواخر العصر البيزنطي، كما تأثرت أرضية الغرفة بما أصاب الرواق الجنوبي، ولعل هذا ما يفسر سبب قيام المعماريين ببناء جدار متين في الطرف الشمالي من الرواق الشمالي مستخدمين حجارة كنيسة سابقة محاولين بذلك الحد من تدفق مياه فيضان نهر الأردن القادمة من الجهة الشمالية، كما أظهرت التنقيبات بعض الحجارة المزخرفة المستخدمة ضمن حجارة هذا الجدار.

ويلاحظ أن أرضية الغرفة قد تعرضت للهبوط في الجزء الغربي منها مما نتج عنه إختلاف في مستوى سطح الأرضية، وقد تم إجراء مجس اختباري في الزاوية الجنوبية الغربية من الغرفة بهدف التعرف على عمق أساسات هذه الغرفة وسبب هبوط مستوى الأرضية بشكل واضح، وتبين أن أساسات الجزء الغربي من الجدار تتكون من طمم يحتوى على حصى صغير وقطع حجرية صغيرة من الحجر الرملي وبقايا حجارة غير منتظمة، وعندما تعرض هذا الجزء لفيضان مياه نهر الأردن أدى ذلك إلى الضغط على الأساسات الذي لم تتحمله، إضافة إلى تسرب الرطوبة في أساسات هذا الجزء وإحداث الخلل في مستوى تركيب الطبقات الترابية في الأسفل وبالتالي تأثر السطح العلوي الذي يشكل أرضية الغرفة، وعلى العكس من ذلك فإن أعمال التنقيبات في الجزء الشرقي من الغرفة أظهرت مدى متانة الأساسات التي تتكون من المونة المخلوطة بالحجارة بأنواعها .وعليه فإن هذه الأساسات كانت تشكل في الحقيقة أساسات الدرج المرتبط بالجانب الشرقي من الغرفة، وتم تقوية أساسات الجانب الشرقي من الغرفة ليتحمل الضغط الناتج عن ارتباط الدرج به، ورغم ذلك فقد أدى فيضان نهر الأردن إلى انفصال بداية الدرج عن الجانب الغربي من الغرفة وهبوطه بشكل حاد (انكسار) مما يشير إلى أن أساسات الدرج قد تعرضت لمياه الفيضان بشكل مكثف بسبب عدم وجود جدار استنادي من الجهة الشمالية، ولعل انهيار جزء من الجدار الشمالي الذي كان مصمماً لحماية الدرج والحفاظ عليه من مخاطر الفيضان قد ساعد بشكل مباشر على إنهيار أجزاء من الدرج، إضافة إلى إنهيار الجدار الجنوبي للدرج مما نتج عنه تأثير مياه الفيضان على كلا الجانبين الشمالي والجنوبي وعلى أساسات الجزء العلوي للدرج المرتبط بالغرفة، وبالتالي إنفصال الدرج عن الغرفة أولاً، ثم هبوط الدرج دون مستوى الغرفة التي كان يرتبط بها.

المخلفات العمائرية

يتكون ما تم الكشف عنه في هذا الجزء العمائري من درج ينحدر بإتجاه الشرق وجدارين شمالي وجنوبي يحيطان بالدرج إضافة إلى بقايا قاعدة وكنيسة صغيرة أقيمت في نهاية الجدار الشمالي من الجهة الشرقية، فقد أقيمت الكنيسة الصغيرة فوق النهاية الشرقية للجدار الشمالي، بينما أقيمت القاعدة على مسافة ٣م من الكنيسة ومن الجدار الشمالي وهي موازية لها واستمرت التنقيبات الأثرية في الجهة الشرقية حيث لم يعثر على مزيد من البقايا العمائرية في هذا الجزء، و تم التنقيب حول الأجزاء الخارجية للجدار الجنوبي الذي تعرض للدمار جزئياً، وتم الكشف عن كامل أساساته التي لم يتبق منها الكثير بسبب إنجرافها أثناء فيضان نهر الأردن على الأرجح.

وقد واجه المنقبون مشكلة رئيسية في هذا الجزء من الموقع، حيث كان إرتفاع منسوب المياه يشكل عائقاً أمام أعمال التنقيبات على مدار ثلاثة أعوام، وسبب ذلك يعود إلى:

١- إرتفاع منسوب المياه في نهر الأردن خلال فصل الشتاء والربيع.

٢- إرتفاع منسوب المياه في المنطقة بشكل عام.

٣- تزايد تدفق مياه نبع الخرار الذي يصب مباشرة في هذا الجزء خلال فصل الشتاء.

وان يتم التغلب على هذه المشكلة من خلال إتباع أسلوب:

١- الإنتظار لحين إنخفاض منسوب المياه في المنطقة، حيث كان يتم التنقيب في الموقع خلال شهري آب وأيلول، حيث ينخفض منسوب المياه في هذه المنطقة خلال هذه الأشهر بشكل واضح.

٢- إستخدام أسلوب الضخ من خلال سحب كميات المياه المتجمعة بواسطة المضخات واستمرار التنقيب.

الجدار الشمالي

يمتد الجدار الشمالي من نهاية طرف الرواق الأوسط للكنيسة الثالثة بإتجاه الشرق وبإنحدار ينسجم مع نظام الدرج المؤدي إلى الجزء الشرقي، ويعتبر هذا الجدار الأفضل من حيث تماسكه واحتفاظه بعدد من المداميك وإحتوائه على بعض الكتابات والرموز الدينية وخاصة على واجهة الجانب المقابل للدرج.

بني الجدار من الحجارة الرملية المشذبة من صفين، ملئ الفراغ بينهما بحجارة صغيرة مدكوكة، ويبلغ طوله من بدايته

وحتى النهايه ٣٠م، وعرضه ٦٠ - ٧٠سم ويبلغ الجدار أقصى ارتفاع له في الجهة الشرقية قرب القاعدة المربعة بينما يبلغ أقل ارتفاع له في نهاية الطرف الغربي قرب الكنيسة مما يشير بوضوح إلى أن أسلوب بناء الجدار الذي يتبع في الأصل الدرج قد تدرج من مستوى سطح الأرض من منطقة الزور إلى ما دون مستوى السطح، بحيث هبط منسوبه إلى داخل منطقة الطمي والغرين المتشكل بفعل فيضان نهر الأردن تدريجياً.

وعليه فإن أساسات ومداميك هذا الجدار في معظمها بنيت دون مستوى سطح الأرض خاصه في الجزء الشرقي منه بينما بنيت أساساته ومداميكه في الجزء الغربي تقريباً فوق مستوى سطح الأرض، ويستنتج من ذلك أن هذا الجدار يتكون من جزء مرتفع وآخر منخفض دون مستوى سطح الأرض، وقد تعرض الجزء المرتفع (الغربي) لفيضان نهر الأردن مما نتج عنه إنجراف معظم مداميكه وأجزائه الرئيسة وأحياناً الأساسات التى يرتكز عليها، بينما تعرض الجزء الشرقي منه أيضاً لمياه فيضان نهر الأردن وكذلك مياه نبع الخرار التي تفيض خلال فصل الشتاء مما أدى إلى إنجراف بعض المداميك العليا بينما المداميك السفلى التي تشكل معظم الجدار بقيت ثابته في مكانها بفعل تراكم الأتربه التي جلبتها مياه الفيضان القادمة من نهر الأردن ونبع الخرار (ترجع اسباب فيضان نبع الخرار خلال فصل الشتاء إلى ارتفاع منسوب الحوض المائي بشكل عام، حيث تصبح مياه نبع الخرار ظاهرة فوق سطح الأرض بشكل واضح خلال شهر كانون الأول وحتى شهر نيسان بينما تختفي مياه النبع خلال أشهر الصيف الحارة ولا تظهر إلا في مواقع معينة، هذا بالاضافة إلى أن سبب الفيضان يعزى إلى المياه التدفقة عبر الأودية الصغيرة المؤدية إلى وادي الخرار مما ينتج عنه زيادة كمية المياه المتدفقة إلى منطقة الزور حيث تتواجد الكنائس المكتشفة ثم تصب المياه بعد ذلك في نهر الأردن مباشرة). وبقيت كذلك إلى أن تم الكشف عنها (**الشكل ٣**).

تميز الوجه الداخلي للجدار بوجود بعض الإشارات والرموز الدينية وخاصة في منطقة المربع (D) حيث كشف عن شارة صليب محفورة بشكل غائر في الحجر الرملي الذي يشكل أحد مداميك الجدار الوسطى وفي داخل شارة الصليب أربعة حروف كتبت باللغة اليونانية القديمة، وبجانب شارة الصليب يوجد فجوة نقرت في أحد الحجارة بشكل غير منتظم تتسع عند البداية وتضيق عند النهاية وترتبط هذه الفجوة بغاية وظيفية مرتبطة بالدرج وربما تكون موضعاً لأحد العوارض الخشبية التي كانت تمتد ما بين الجدار الشمالي والجنوبي، إلا أنه ومن خلال تفحص أسلوب حفر الفجوة يتضح أن تاريخها يرجع إلى فترة لاحقة لبناء الجدارين والدرج.

ومما هو جدير بالملاحظة في هذا الجدار هو نهاية الطرف الشرقي له الذي بني بطريقة هندسية محكمة روعي فيها الدقة والتنظيم إضافة إلى متانة وقوة الأساسات التي يرتكز عليها الجدار في هذا الجزء، ولعل سبب ذلك نابع من الهدف المراد منه إقامة بناء عليه وخاصة القاعدة المربعة.

واتضح من خلال التنقيب قرب الأجزاء السفلية من الجدار وجود بقايا طبقات القصارة التي حفظت بفعل طبقات الطمي والغرين الذي تراكم عليها عبر السنين، وتتكون القصارة من ثلاث طبقات أهمها الطبقة الثالثة الأخيرة وهي ناعمة الملمس تتكون من الملاط ذو اللون الأبيض وهي صلبة وقاسية، وبعد إجراء أعمال التنظيف لسطح القصارة بطريقة علمية للمحافظة عليها من التحلل والذوبان بسبب هشاشتها تبين وجود بعض الكتابات الغائرة عليها حيث استخدمت أداة حادة في كتابتها، وتتكون من كلمات غير منتظمة باللغتين اليونانية القديمة والسريانية تتخللها شارات الصليب بشكل مكثف وأحيانا وجدت الكتابات داخل إطار شبة دائري أو مستطيل والإطار عبارة عن تحزيز غائر بأداة حادة. مما يشير إلى أهمية الجدار وخاصة أجزائه السفلية حيث استخدمت القصارة كموضع يتم عليه تخليد أحداث معينة قام بها أشخاص معينون استخدموا هذا المكان (ما زالت الكتابات قيد الدراسة وسيتم نشرها حال الإنتهاء منها).

الجدار الجنوبي

من خلال تفحص بقايا الأساسات التي تم الكشف عنها فإن الجدار الجنوبي يشبه الجدار الشمالي من حيث طريقة البناء والقياسات إلا أن أهم ما يميزه هو شدة الدمار الذي تعرض له مما نتج عنه اختفاء معظم أجزائه وإنجراف الباقي بإستثناء بعض الأساسات (**الشكل ٤**).

ويشكل الجدار حاجزاً وداعماً ومثبتاً للدرج قبل انهياره ومن خلال دراسة بقايا القطع الحجرية المتناثرة التي وجدت على أطراف أساسات الجدار الجنوبي يتضح أن كلا الجدارين كانا قد أقيما في فترة زمنية واحدة، وكان لانهيار هذا الجدار الجنوبي أثر مباشر على فقدان أجزاء عديدة من الدرج، وحيث أن الجدار الجنوبي موازي للجدار الشمالي فإن نهايته قد تعرضت أيضاً للدمار والإنجراف، وأصبح يتعذر معها التعرف على بعض الأجزاء العمائرية والتي ربما تكون متناظرة مع مثيلاتها في نهاية الطرف الشرقي للجدار الشمالي ويبلغ طول الجدار ٣٠م وعرضه اعتماداً على بقايا

٣. الجدار الشمالي

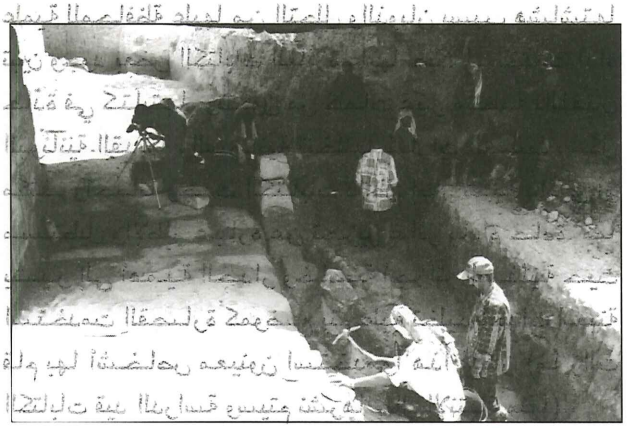

٤. جانب من اعمال التنقيبات للجدار الجنوبي.

الاساسات حوالي ٧٠ – ٨٠ سم. وأظهرت أعمال التنقيبات الأثرية في هذا الجزء وجود بعض حجارة الجدار المشذبة المتساقطة، ويعزى سبب إنهيار الجدار الجنوبي إلى إحتمال راجح يتمثل بمجرى نهر الأردن الذي كان قد أثر بشكل مباشر على الكنيسة الأولى والثانية والثالثة، وجرف أجزاء رئيسية منها في الجانب الغربي والجنوبي وخاصة الزواق الجنوبي للكنيسة الثالثة الذي تم تدعيمه بقواعد للحد من تأثير تدفق مياه نهر الأردن الجاري بقربها، وعليه فقد أدى جريان مياه نهر الأردن قرب أساسات الجدار الجنوبي إلى إنهيار الأساسات والمداميك العليا للجدار وتبعثرها قرب الجدار نفسه حيث تم الكشف عن بقايا قطع رخامية تشكل عتبات الدرج الذي إنهار جزئياً بسبب إنهيار الجدار الجنوبي إلى ما دون أساسات الدرج، ولعل إنهيار الجدار الجنوبي يؤدي إلى افتراض جريان المياه بشكل مستمر قرب أسفل أساسات الجدار مما يرجح وجود مجرى لمياه نهر الأردن قرب الجدار، حيث يبعد مجرى نهر الأردن الحالي مسافة أربعين متراً فقط من الجدار الجنوبي باتجاه الجنوب.

القاعدة

تقع القاعدة المربعة الى الشرق من نهاية الجدار الشمالي للدرج وتبعد عنه مسافة ٣م، وهي مربعة الشكل طول ضلعها ٢٧,٥م تقريباً ويبلغ ارتفاع الجزء المتبقي منها ٢,٨٠م. بنيت القاعدة من حجارة رملية مشذبة، وهي منتظمة الشكل تقوم على أساسات متينة وقوية، حيث صممت لتؤدي وظيفتها في ظروف خاصة حيث تكثر المياه من كافة الأطراف وخاصة إرتفاع منسوب الحوض المائي في المنطقة، وحيث أن القاعدة مربعة فقد ملئ الفراغ الداخلي لها بحجارة رملية وكلسية غير مشذبة مدكوكة بشكل جيد باستخدام المونة ذات اللون الرمادي (**الشكل ٥**). وعليه فإن القاعدة عبارة عن كتلة صخرية صلبة كان الهدف منها تثبيتها في وسط بيئة غير مستقرة في منطقة الطمي والغرين، وأظهرت التنقيبات الأثرية في الأجزاء السفلية من القاعدة وجود طبقات من القصارة ما زالت محتفظة بمعالمها الرئيسية وهي مشابهة للقصارة المتواجدة على المداميك السفلية للجدار الشمالي، وكشف عن بقايا تحزيزات غائرة على سطح طبقة القصارة تمثل أشكال صلبان متعددة وبأحجام متنوعة، وما يميز هذا الجزء هو كثافة وجود التحزيزات إلا أنه لم يلاحظ وجود كتابات على هذا الجزء السفلي، أما الجزء العلوي للقاعدة، فكانت طبقات القصارة تغطي تلك الأجزاء ثم تساقطت بفعل عوامل عديدة وتم الكشف عن أشكال صلبان محفورة في الحجر الرملي

تعرضت للتعريه، وتم إجراء تنقيبات أثرية ومجسات إختبارية حول القاعدة من كافة الجهات لم تظهر أية أجزاء معمارية أخرى مرتبطة بها، وتم الكشف عن بقايا أربعة قبور بعضها في حالة رديئة بسبب الرطوبة المؤثرة في محيط القاعدة، تشير الدلائل الأولية إلى أنها تؤرخ لفترة لاحقة من القرن الثامن الميلادي.

الدرج

يعتبر الدرج من الأجزاء العمائرية الرئيسة في الجزء الشرقي من كنيسة يوحنا المعمدان ويرتبط الدرج بالكنيسة الثالثة إلا أنه انفصل عنها لمسافة ٥٠ ,١م بسبب تأثير فيضان مياه نهر الأردن وحركة الزلازل في المنطقة بشكل عام، ويبلغ عرض الدرج ٥٠ ,٢م تقريباً ويتكون من اكثر من ٢٢ عتبة من الرخام الأسود، وقد قطعت العتبات الرخامية بشكل جيد ومحكم وتظهر على بعضها آثار الأزاميل المستخدمة في القطع والتشذيب وتم تثبيتها بإستخدام المونة، وتتكون العتبة الواحدة من أكثر من قطعة رخامية ويبلغ ارتفاع العتبات ما بين ١٧ – ٢٣سم بينما يتزايد عرض العتبات الرخامية كلما اتجهنا نحو الأسفل (**الشكل ٦**). وقد تم تقوية اساسات الدرج من خلال إقامة طبقة من الحجارة غير المشذبة المخلوطة مع المونة ثم تثبيتها في أعماق متفاوته حسب انحداره ومن ثم إضافة العتبات الرخامية حيث اتبع نظام العتبات والبسطة للتخفيف من حدة الإنحدار بإتجاه الأسفل. وينتهي الدرج بمساحة صغيرة مبلطة أيضاً بقطع

٥. بقايا القاعدة المربعة

٦. الدرج الرخامي الذي يوصل ما بين الكنائس الثلاث والقاعدة المربعة.

الرخام الأسود وما يميز نهاية الدرج هو الكشف عن لوح رخامي استخدم في تبليط المساحه الصغيرة المتواجده في نهاية الدرج، وتبلغ قياسات اللوح ٩٥سم × ١١٥سم وقد صمم موضع اللوح الرخامي موازياً لمنتصف الدرج بحيث يكون موضع اللوح نقطة الوقوف النهائية لمن يستخدم الدرج نزولاً نحو المياه، مرتبطة بذلك مع كل من قاعدة الكنيسة والقاعدة المربعة المجاورة لها كما وجد على الأرضية الرخامية مجموعة من حجارة القوس وحجارة محراب الكنيسة التى تساقطت في فترات سابقة. وقد تم إجراء بعض المجسات الإختبارية قرب وحول الساحة خاصة من الجهة الجنوبية الموازية للجدار الجنوبي بهدف البحث عن دلائل معمارية مرتبطة بهذا الموقع، إلا ان النتائج لم توفر دليلاً على وجود مزيد من المخلفات العمائرية في هذا الجزء، حيث كان إرتفاع منسوب المياه يشكل عائقاً أمام أعمال التنقيب تم التغلب عليه باتباع إسلوب الضخ المتواصل للمياه المتجمعه والناتجة عن ارتفاع منسوب الحوض المائي في المنطقة.

الكنيسة الصغيرة

أظهرت التنقيبات الأثرية في الجانب الشرقي من كنيسة يوحنا المعمدان قرب نهاية الطرف الشرقي للجدار الشمالي للدرج وجود كنيسة صغيرة مقامة جزئياً على طرف الجدار الشمالي، وتعتبر هذه الكنيسة مكملة للأجزاء العمائرية المرتبطة ببعضها البعض من حيث العمارة والوظيفة في الجانب الشرقي (**الشكل ٧**).

تقع الكنيسة إلى الشرق من الكنيسة الثالثة وتتجه نحو الشرق، وهي أقرب الكنائس إلى الدرجات الرخامية التي من المرجح أنها كانت تؤدي إلى مجرى مائي، ومما يميز هذه الكنيسة وجودها بمعزل عن بقية الكنائس منفردة لوحدها مما يشير إلى أهمية الموقع الذي أقيمت عليه هذه الكنيسة، حيث اقتضى انشاؤها بناء أساسات متينة في هذه المنطقة التي تتكون من الطمي والغرين وتشهد تدفق مياه نبع الخرار ومياه فيضان نهر الأردن وارتفاع منسوب الحوض المائي بشكل عام.

تبلغ قياسات الكنيسة ٤م× ٦م متر تقريباً وهي صغيرة نسبياً اعتماداً على المخلفات المتبقية مما يشير الى وجود خصوصية في هذه الكنيسة نظراً لصغر مساحتها. واعتماداً على ما تم الكشف عنه فمن المرجح أن مدخل الكنيسة يقع في الجدار الغربي الذي لم يتبق منه إلا القليل حيث يتواجد مدماك واحد فقط بارتفاع ٣٠سم، ومن الواضح أن المدخل كان مرتبطاً بأساسات الدرج الفرعي المرتبط بالكنيسة الصغيرة المؤدي إلى الدرج الرئيسي، حيث تم الكشف عن بقايا هذه الأساسات إلى الغرب من الكنيسة الصغيرة على مسافة عشرة امتار. وعليه فإن الاتصال مع الموقع الذي يوصل إليه الدرج الرئيسي لا يمكن إلا من خلال الدرج الفرعي الذي تبلغ قياساته ٢,٥٠م عرض وما تبقى من طوله حوالي ٢,٥٠م، حيث أنه لا يوجد سوى هذا المنفذ من خلال الجدار الشمالي وبسبب ارتفاع مستوى الدرج عن مستوى الجدار الشمالي فقد تأثر بشكل مباشر بفيضان المياه حيث لم يتبق منه سوى جداري الدرج الذي يتجه شمال جنوب بينما لم يعثر على أي من العتبات الرخامية.

بنيت جدران الكنيسة من الحجر الرملي المشذب وتبلغ سماكة الجدار ٦٠سم تقريباً ولا زالت بقايا أجزاء المدماك الأول من الجدار الشمالي والجدار الشرقي الذي يشتمل

٧. منظر عام لموقع الكنيسة الصغيرة.

على الحنية في مكانها بالرغم من انهيار المداميك العليا التي كانت تحمل السقف، حيث لم يكن بالإمكان التعرف على نوافذ الكنيسة والأجزاء العلوية فيها كما تم الكشف عن العديد من حجارة المداميك المتساقطة حول الجدران التى بنيت من صفين من الحجارة المشذبة، وملئ الفراغ بينهما بالمونة المكونة من حجارة حصوية نهرية (حجر سيل) وهو متوفر في المنطقة وبقايا حجارة رملية غير مشذبة من بقايا الحجارة المستخدمة في بناء الكنيسة، ويتراوح حجم الحجارة ما بين متوسط وصغير كما استخدمت المونة في تثبيت مداميك الحجارة المشذبة.

ومما هو جدير بالملاحظة أن الجدار الجنوبي للكنيسة الصغيرة يرتكز في أجزائه الغربية على الجدار الشمالي للدرج، بينما في أجزائه الشرقية فإنه يتجاوز الجدار الشمالي مما دفع المعماري إلى إيجاد حل مناسب بحيث تكون الحنية مرتكزة على قاعدة صلبة وبناء قوس حجري ينطلق من الجدار الشمالي وما زالت بعض حجارته في مكانها ويتجه نحو الجدار الجنوبي مما يعكس الغاية الوظيفية للقوس وهي حمل الأجزاء الجنوبية للحنية (**الشكل ٨**)، إضافة إلى أن ارتباط القوس بالجدارين الداعمين للدرج وهما الجدار الشمالي والجنوبي يوفر ممراً فوق الدرج يوصل ما بين الجانبين وربما يسهل من عملية العبور عبر نهر الأردن إذا ما افترضنا وجود مخلفات عمائرية أخرى كانت مقامة على الجدار الجنوبي كانت تؤدي إلى القوس باعتباره معبر ومن ثم إلى الكنيسة الصغيرة، وهكذا يتضح أن القوس الحجري كان يحمل اجزاء من الكنيسة ويدعم الجدارين الشمالي والجنوبي ويوفر معبراً من الاتجاه الشمالي الى الإتجاه الجنوبي، الأمر الذي نستنتج منه احتمال وجود مدخل للكنيسة الصغيرة في الجدار الجنوبي التابع لها، ويتضح من مخلفات الجدران أن سقف الكنيسة كان محمولاً على قوس وذلك من خلال وجود بقايا القوس الذي كان يحمل ويدعم أجزاءاً من الكنيسة فوق الدرج.

أما في وسط الكنيسة (منطقة الصحن) فتم الكشف عن بقايا أرضية جصية ذات لون أبيض تعرضت لعوامل التلف بسبب الرطوبة، وبقي جزء منها مقابل منطقة المحراب بينما لم يعثر على أي بقايا للرخام أو الفسيفساء على أرضية هذه الكنيسة، كما لم يعثر على بقايا القرميد أو ألاخشاب المتساقطة من السقف ومن المرجح انجراف هذه البقايا أثناء الفيضانات التي كانت تصيب المنطقة، اذا ما افترضنا ان الكنيسة كانت مكتملة البناء.

أما حنية الكنيسة فهي غير بارزة عن الجدار الشرقي، حيث يبلغ عرض الجدار الشرقي ٧٠سم، والحنية مبنية من الحجر الرملي المشذب والمثبتة بالمونة ومغطاه بالجص الأبيض، وتتجه إلى الشرق وترتفع منطقة الحنية عن أرضية الكنيسة درجة واحدة ارتفاعها ١٥سم ويبلغ نصف قطر الحنيه ١١٢سم، وفي وسطها يوجد مدخل صغير يوصل ما بين صحن الكنيسة والحنية باعتبار الحنية تمثل الجزء المقدس من الكنيسة، ويبلغ عرض هذا المدخل ٤٥سم يتم عبره الوصول إلى الحنية.

أما عتبة هذا المدخل فتتكون من تاجية رخامية بيضاء اللون منقوله استخدم سطحها العلوي الأملس كعتبة يتم الدخول عليها إلى داخل الحنية، أما الحجارة الأخرى المجاورة للتاجية فهي من الحجر الرملي، ولعله من المبكر تفسير سبب استخدام هذه التاجية كعتبة مؤدية إلى الحنية،

٨. بقايا القوس المتفرع من الجدار الشمالي.

حيث استخدمت التاجيات في بناء الكنائس المجاورة المتواجدة إلى الغرب من الكنيسة الصغيرة. ومن المرجح ان اعادة استخدام واعمار قد تمت للكنيسة.

أما أساسات الكنيسة التي ترتكز عليها فقد تم بناء جدرانها فوق أرضية ترابية من الطمي والغرين، حيث تم الحفر في طبقات التراب واستخدم الحصى النهري مع المونة كأساس متين تستند عليه الجدران الشمالية للكنيسة علماً بأن الجدار الجنوبي يستند على الجدار الشمالي للدرج والقوس. بنيت هذه الكنيسة الصغيرة على قاعدة حجرية مبنية من الحجر الرملي المشذب طول ضلعها ٢,٩٠م، وارتفاعها ٢,٩٥ م عن مستوى الأرضية، واستخدمت المونه بشكل مكثف لتثبيت الحجارة، كما وجد بقايا قصارة ناعمة على الأجزاء السفلية يبلغ ارتفاعها ٩٥سم من الأرضية وهي ناعمة وجد عليها نقوش وكتابات، كما تتميز بوجود أشكال صلبان محفورة عليها وبشكل مكثف كما ذكرنا سابقاً عند الحديث عن نهاية الجدار الشمالي للدرج (**الشكل ٩**)

ويتضح من خلال تفحص موقع الكنيسة كونها منفصلة عن باقي الكنائس المجاورة ووقوعها فوق نهاية الجدار الشمالي (**الشكل ١٠**) وقرب نهاية الدرج وبحيث تعلو المكان الذي يوصل اليه الدرج وتشرف عليه مباشرة اضافه الى حجمها الصغير، كل ذلك يشير بوضوح الى أن إقامة هذه الكنيسة لم يكن محض صدفة وأنه مرتبط بغايات ووظائف إقتضت إنشاءها في هذا المكان الذي يتعرض لمخاطر عدة من كافة الجهات، وعليه فإن دراسة شمولية لمجمل المباني المرافقة والمجاورة للكنيسة لا بد وأن يكون لها أثر واضح في فهم إقامة هذه الأبنية وهذه المرافق الملحقة على الجانب الشرقي من نهر الأردن، كما ان مسار نهر الأردن خلال العصر البيزنطي كان له دور في تحديد موقع هذه الكنيسة والمرافق الأخرى (**الشكل ١١**) في حين ان المكتشفات الأثرية من هذا الموقع أكدت أن البناء أقيم خلال العصر البيزنطي المتأخر الأمر الذي يدعم التوجه القائل بأن البيزنطيين اولو منطقة بيت عبارا على الجانب الشرقي من نهر الأردن أهمية خاصة ضمن إهتمامهم بمنطقة بيت عنيا شرقي نهر الأردن، على اعتبار ان بيت عبارا او (بيت العبور) هي جزء من بيت عنيا الكبرى شرقي نهر الاردن.

٩. القاعدة التي ترتكز عليها الكنيسة الصغيرة وتظهر عليها شارات الصليب.

الخاتمة

يتضح من خلال نتائج أعمال التنقيبات الأثرية المتواصلة في هذا الجزء أهمية الجانب الشرقي من موقع كنيسة يوحنا المعمدان على الجانب الشرقي من نهر الأردن كما يتضح من أن المخلفات العمائرية التي كشف عنها تتكون من عمائر دينية مثل الكنائس وأجزاء عمائرية مرتبطة بالمياه مثل الدرج. حيث يندرج ما تم الكشف عنه ضمن اطار العماره الدينية. وأظهرت اللقى الأثرية، وخاصة الكسر الفخارية التي أرخت الى العصر البيزنطي المتأخر والعثور على بعض الكسر الفخارية التي تؤرخ للقرن الثامن الميلادي استمرارية التواصل الحضاري في الموقع واستخدامه حتى فترات متأخرة.

وحول وظيفة الأبنية المكتشفة فإن الدلائل الأولية تشير الى وجود كنيسة صغيرة لا تبعد كثيراً عن الكنائس الأخرى التي انشئت لأغراض العبادة الدينية مما يؤكد الرغبة في إقامة الكنائس بأحجام مختلفة في الموقع وأن مزيداً من الدراسات والتحليل سوف يوضح أسباب بناء الكنيسة الصغيرة في هذه المنطقة التي تتعرض لمخاطر تدفق المياه من عدة جهات، حيث اشار عدد من الرحالة القدامى لهذه الابنية والغايات الوظيفية التي كانت تضطلع بها. ولا يخامرنا شك بأن اسلوب العمارة الذي تم تنفيذه في الموقع المكتشف يعكس أصراراً من طرف البيزنطيين على إقامة مثل هذه

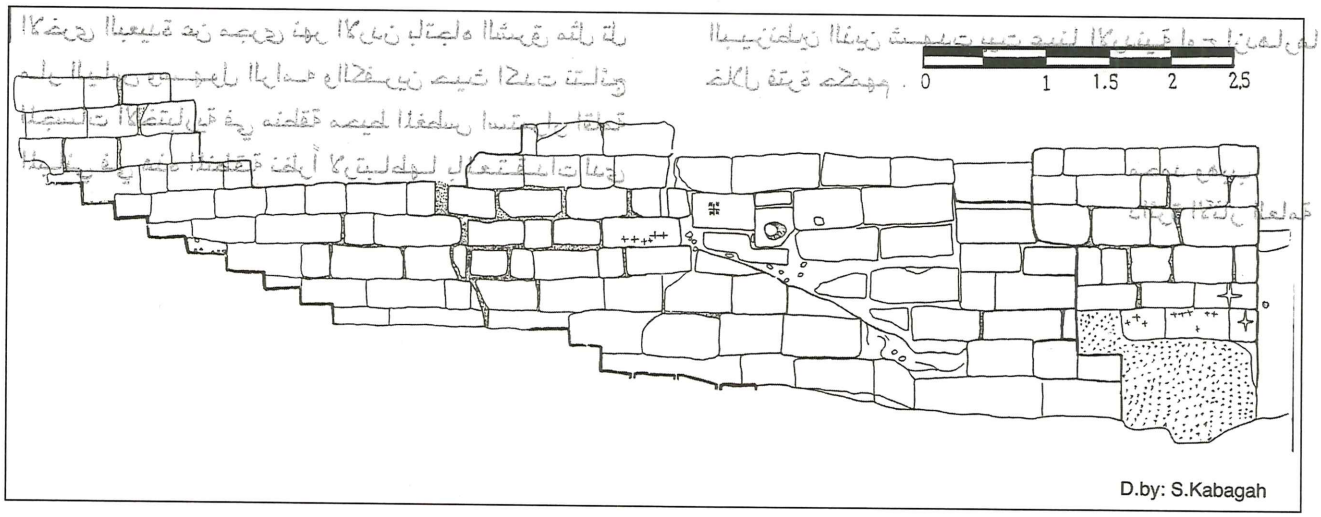

١٠. مقطع عرضي للجدار الشمالي للدرج.

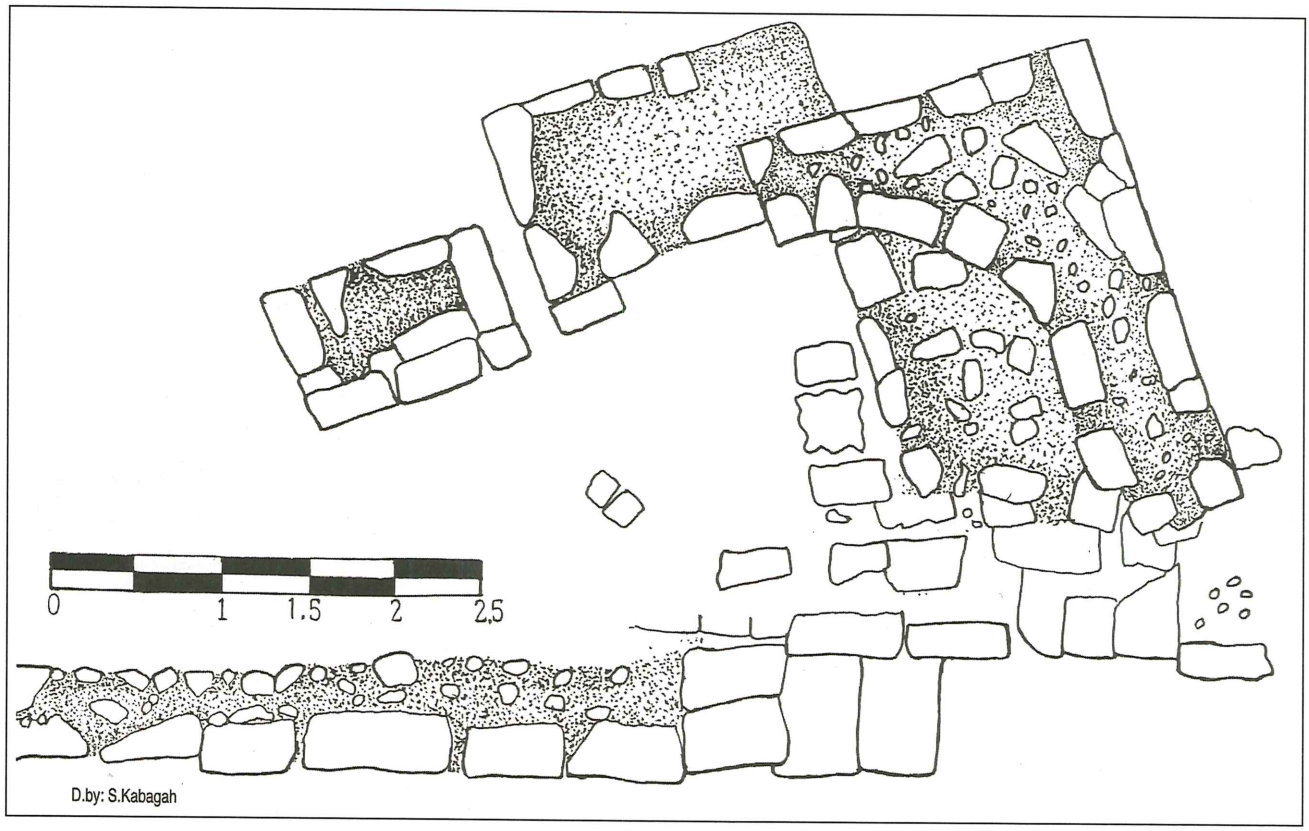

١١. مخطط افقي للكنيسة الصغيرة.

الأبنية وإيجاد الحلول للمشاكل التى تعترض أنشاء مثل تلك الأبنية وخاصة المياه، وكان اللجوء الى استخدام اسلوب الأقواس لتلافي إصطدام المياه بالمباني واضحاً وخاصة في بناء الكنيسة الأولى، كما ان خارطة مأدبا أظهرت بعض الأبراج على الجانب الشرقي من نهر الأردن وقد بينت على قوس كدلاله واضحه لتجنب فيضان نهر الاردن.

واظهرت التنقيبات مدى الجهد الذي بذله البيزنطيون في جلب الحجارة والرخام والبنائين مما يؤكد أن الحكام والأباطرة قد أولو هذه المنطقة عنايتهم. ولعل مجرى نهر الأردن وتدفق المياه من نبع الخرار كان المحور الرئيسي الذي قامت على أساسة فكرة إنشاء هذه المباني، وارتباط هذه المصادر المائية بالمعتقدات الدينية، الامر الذي يشير الى الاهتمام بالمنطقة المحاذية لنهر الاردن على الجانب الشرقي اضافه الى استمرار الاهتمام بانشاء الابنية في المناطق

الاخرى البعيدة عن مجرى نهر الاردن باتجاه الشرق مثل تل مار الياس وسهول الرامه والكفرين حيث اكدت نتائج المجسات الاختبارية في منطقة محيط المغطس استمرار اقامة المباني في هذه المنطقة نظراً لارتباطها بالمعتقدات لدى البيزنطين الذين شهدت بيت عينا الاردنية اوج ازدهارها خلال فترة حكمهم .

محمد وهيب
دائرة الآثار العامة